مقدمة الشيخ
حلمي بن إسماعيل الرشيدي حفظه الله

إن الحمد لله (تعالى) ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

وبعد...

فإن الإسلام دين الأدب والمروءة ، ودين الفضائل والأخلاق .. دين يحث على التحلي بمكارم الأخلاق ، وتهذيب النفس من رواسب الجاهلية ، لهذا قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: 9] ،**أي**: بالتوحيد ، والأخلاق ، والأدب ، وصنائع المعروف ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[الشمس:10] ،**أي**: بالشرك ، والرياء ، وحب السُّمعة ، والعُجب ، والغرور ، والكبر .

ومَن أراد الله به خيرًا ألهمه النفس التي تحثه على فعل الخيرات ، وترك المنكرات، والتحلي بالمكارم ، والتخلي عن الرذائل .

ولم يَرد عن نبي مِن أنبياء الله (تعالى) هذا الكم الكبير ، والنصوص الوافرة في التحلي بمكارم الأخلاق وحسن الأدب ، بمثل ما جاء به رسول الله ﷺ ، ولكن مَن يسمع ويقرأ ويعمل ؟!!

ولقد حث السلف على تعلم الأدب قبل العلم ؛ لأن الأوعية السيئة إذا حُشيت علما أساءت إليه وحطت من مكانته .

أخرج البخاري في **"الأدب المفرد"** (288) بسند صحيح إلى عبد الله بن عمرو بن العاصي (رضي الله عنهما) أنه قال:

" أربعُ خلالٍ إذا أُعطيتهن فلا يضرك ما عُزل عنك من الدنيا:

- **حُسن خليقة .**
- **وعفاف طعمة .**

openkandil.com

- وصدق حديث .
- وحفظ أمانة " .

وفي "السير" (14/450) قال يوسف بن الحسين الرازي :

" بالأدب تَتَفهَّم العلم ، وبالعلم يصح لك العمل ، وبالعمل تنال الحكمة ، وبالحكمة تفهم الزهد ، وبالزهد تترك الدنيا وترغب في الآخرة ، وبذلك تنال رضا الله " .

وقال ابن القيم (رحمه الله) في "المدارج" (ص454) :

" وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه ، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره ، فما استُجلب خيرُ الدنيا والآخرة بمثل الأدب ، ولا استُجلب حرمانها بمثل قلة الأدب " .

ولو أن الأمر بيدي لكتبت هذه المقالة على باب كل مسلم ، وبخاصة الملتزم .

واسمع هذا القول من إمام في الأدب والأخلاق ، وهو أيضا عنوان الإخلاص، وهو ابن المبارك (رحمه الله) ، قال:

"مَن تهاون بالأدب عُوقب بحرمان السنن ، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة".

وفي "تاريخ دمشق" (54/168) عن محمد بن إبراهيم أبي عبد الله البوشنجي (رحمه الله) ، قال:

" مَن أراد العلم والفقه بغير أدب ؛ فقد اقتحم أن يكذب على الله ورسوله (ﷺ) ".

قال الطِّيب :

" الأخلاق الرذلة السيئة مفتاح كل شر ، بل هي الشر كله . والأخلاق الحسنة مفتاح كل خير ، بل هي الخير كله " ا.هـ من "فيض القدير" (10/ 5385) .

وقال الحجاج بن أرطأة :

" إن أحدَكم إلى أدب حسن أحوجُ منه إلى خمسين حديثا " .

وعن زكريا العنبري قال :

" علم بلا أدب ، كنار بلا حطب . وأدب بلا علم ، كروح بلا جسم " .

وقال ابن المبارك : قال لي مَخْلد بن الحسين :

" نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث " .

وقال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد : قال لي أبي :

" يا بني ! إيت الفقهاء والعلماء ، وتعلم منهم ، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم ؛ فإن ذاك أحب إليَّ من كثير من الحديث " .

وكان محمد بن عُبيد الطّنافسي يقول لأصحاب الحديث :

(ألا تكونوا مثل عيسى بن يونس ، كان إذا أقبل إلى الأعمش ومعه الشباب والشيوخ ينظرون إلى هديه وسمته) "تاريخ دمشق" (51/ 26) .

وعن مالك بن أنس قال: قال ابن سيرين :

" كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم ".

قال:

" وبعث ابن سيرين رجلاً فنظر كيف هديُ القاسم وحالُهُ " .

وقيل لابن المبارك : أين تريد؟

قال: إلى البصرة .

فقيل له: مَن بقي ؟

فقال: " ابن عون ، آخُذُ من أخلاقه ، آخُذُ من آدابه " .

وفي "الآداب الشرعية" لابن مفلح (255/2) :

" كان علي بن المديني وغير واحد يحضرون عند يحيى بن سعيد القطان ، ما يريدون أن يسمعوا شيئًا إلا أن ينظروا إلى هديه وسمته " .

وعندي عشرات بل مئات النقولات عن السلف وأدب السلف .

وكان الإمام أبو حنيفة (رحمه الله) يحب الكلام على الأدب وحكايات السلف على كثير من العلم ؛ لأن ذلك يدعو إلى تعلم الأدب ، وصدق شعبة حيث قال : " تعلمنا الأدب حينما فاتنا المؤدبون ".

obeikandi.com

ولقد فاتنا جُلّ الآداب ؛ وذلك لانشغالنا بغيرها .

وهذه الرسالة ــ التي بين يديك ــ غيض من فيض مما يجب علينا أن نتمسك به مما بقي من الآداب والأخلاق .

وهي رسالة نافعة مفيدة في بابها ، وهي بعدُ جديرة بالاهتمام والتدريس ، أسأل اللهَ (**تبارك وتعالى**) أن يجعلها في ميزان حسنات جامعها ومهذبها ، وأن ينفع بها ، ويجعلَها سببًا في إزاحة الغبار والأتربة التي غطت النفوس وسترتها ، إن الله جواد كريم ، وبالإجابة جدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

وكتب
أبو أنس المصري السلفي
حلمي بن محمد بن إسماعيل الرشيدي
عفا الله عنه
الكيماويات / كفر الدوار /جمهورية مصر العربية .
في آخر شهر الله المحرم / 1430 **هـ**
الثاني عشر من شهر يناير 2010 **م**

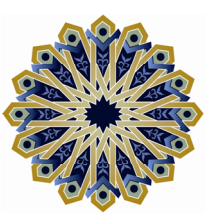

obeikandl.com

مقدمة الشيخ
جمال الدين مغازي حفظه الله

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

ونحمد الله الذي منَّ على المؤمنين بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، فهدى به من الضلالة ، وبصَّر به من العماية ، وفتح به قلوبا غلفا ، وأعينا عميا ، وآذانا صما ، وشرح به الصدور ، وأنار به القلوب ، وأخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، مَن صلى عليه صلاة صلى الله عليه بها عشرًا .

أما بعد:

فهذا الكتاب الذي نشرف بأن نقدم له بذل فيه ولدنا الحبيب وائل **(حفظه الله)** جهدًا مشكورًا ، عسى الله أن يتقبل منه ، وإني لأنصح إخواني وأبنائي خاصة طلبة العلم أن يهتموا به تعلمًا وتعليمًا ، **وقد جربت تدريسه بعد صلاة الفجر ، وكان أثره طيبًا ونافعًا بفضل الله (سبحانه وتعالى)** .

وغاية القول أن هذا الكتاب يفتح لك الأبواب إلى الإخلاص بتزكية النفس ، وقد قال الله **(عز وجل)** : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:9،10] .

وهذا الباب صار مهجورًا عند أكثر الناس إلا من رحم ربي ، فتركوا الاهتمام بأعمال القلوب ، وهي هي من حيث أهميتها ؛ إذ عليها مدار القبول ابتداء ...

فيا أيها الأحباب ! اخلصوا تخلصوا .

وهذا كتاب يرسم لك دراسة جدوى لحياتك ، من الميلاد إلى الممات ، ومن اليقظة إلى المنام ، ومن المنام إلى اليقظة .

obeikandi.com

من الفجر إلى الغروب ، ومن الغروب إلى الفجر، وهكذا إلى أن يقودك إلى الجنان برحمة الله .

أيها الحبيب! كم تساوي الدنيا عند الله ؟

الكتاب يجيب عليك ، ويشرح لك لو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة ما شرب كافر منها شربة ماء .

فكم يساوي نصيبك من جناح البعوضة لو قسمت على هذه الأعداد الهائلة من البشر في عصرنا هذا فقط ، فما بالك بباقي العصور ؟!

فاستجب لربك ، وطهر قلبك ، واقصد وجه الله دائما ، ففي ذلك النجاة والهداية ، وهاك بين يديك **بداية الهداية** .

أسأل الله أن ينفع به كاتبه ، ومن أعان على نشره ، ومن قرأه ، وجميع المسلمين...

وكتب
المحب لكم
جمال الدين مغازي

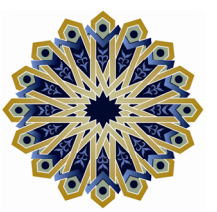

obeikandl.com

مقدمة الشيخ
أبي عبد الرحمن محمد النشيلي (حفظه الله)

الحمد لله مفرج الكربات ، ومحقق الأمنيات ، ومذلل العقبات ، وغافر الذنوب والزلات .

الذي دعا الناس إلى لزوم صراطه المستقيم من بداية الحياة حتى المـمات ، وأرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ترشدهم إلى عمل الصالحات ، كي يسعدوا في حياتهم ، ويفوزوا بعد الممات .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للبريات ،،،

أما بعد :

فإنه من سعادة المرء أن يجعل الله همه الآخرة لا الدنيا .

فالدنيا متاع زائل ، وخيال باطل ، قد يجمع الإنسان فيها من الأموال الكثير والكثير ، ويعمر الديار ، ويشيد القصور والأمصار ، ثم هو تارك ذلك ومحاسب عليه بين يدي ربه العظيم ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:8].

قال أبو الدرداء (رحمه الله) :

" أيها الناس كان فيمن كان قبلكم قوم جمعوا كثيرًا ، وبنوا مشيدًا ، وأملوا بعيدًا ، فأصبح جمعهم بورًا ، وبنيانهم قبورًا ، وآمالهم غرورًا .

ياقوم ! هذه عاد ملئت الدنيا خيلاً ورجالاً وآمالاً ، مَن يشتري مني اليوم تركتهم بدرهمين ؟!!" .

وقال فارس السيف والقلم محمود سامي البارودي:

كلُّ حـــي سيمــوت ... لَيْسَ في الدُّنيا ثُبُــوتُ
حَرَكَـاتٌ سَـوْفَ تَفْنَى ... ثُــمَّ يَتْلُوها خُفُـــوتُ
وكَـلامٌ لَيْـسَ يَحْـلُــو ... بَعْـدَهُ إلاَّ السُّكُــوتُ
أَيُّهــا الســادِرُ قُـلْ لي ... أَيْـــنَ ذاكَ الجَــبَرُوتُ؟
كُنتَ مطبوعاً على النُطْـ ... ـقِ، فَمَا هَذَا الصُّمُوتُ؟
ليـت شِعْـرِي ، أَهُمودٌ ... مــا أراهُ ، أَم قنـوتُ ؟

أَيْـــنَ أَمْلاكٌ لَهُـــمْ فِي كُـــلِّ أُفْـــقٍ مَلَكُـــوتُ
زالَت التيجـانُ عنهـــم وخَلَتْ تلْكَ التُّخُـوتُ
أَصْبَحَتْ أَوْطَانُهُمْ مِـنْ بَعْدِهِمْ وَهْـيَ خُبُوتُ
لا سَمِيعٌ يَفْقَـهُ الْقَـــوْ لَ ولا حَـيٌّ يَصُـــوتُ
عمرَت منهُـــم قبـــورٌ وخلَت منهـم بيـــوتٌ
لم تَذُدْ عَنْهُمْ نُحُوسَ الدَّ هْرِ إِذْ حانَتْ بُخُـــوتُ
خَمَدَتْ تِلْكَ الْمَسَاعِـــي وانْقَضَتْ تلكَ النُّعُوتُ
إِنَّما الدُّنْيـــا خَيَـــالٌ باطِلٌ سَوْفَ يَفُـــوتُ
ليـــسَ للإنسانِ فيهـــا غيرَ تقـوى الله قـــوتُ

ولا ينفع العبد بعد الممات ، إلا ما أخبرنا به رسول ربِّ الأرض والسماوات (ﷺ) في قوله : " **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** " [1] .

وها هو الإمام أبو حامد الغزالي (**رحمه الله**) صاحب (**بداية الهداية**) لو خلف وراءه مالاً ما رأيناه ، ولو ترك ولدًا ما عاصرناه ، ولو أبقى خلفه متاعًا من الدنيا ما شهدناه .

لكن الإمام ترك علمًا يُنتفع به ، فجزاه الله خير الجزاء .

وعلى نهج الإمام ودربه وطريقه سار أخي الفاضل المجتهد وائل بن حافظ (**حفظه الله ورعاه**) ، فأراد أن يترك خلفه علمًا نافعًا ، وعملاً صالحًا ، نسأل الله (**عز وجل**) أن يتقبله بقبول حسن ، فهذب (**بداية الهداية**) في (**بلوغ الغاية**) ، بقدر جهده وبلوغ علمه ، وتنقيبه وبحثه ، وسؤاله وتجواله في كتب الأماجد والأفاضل ، مستعينًا على ذلك بعون الله ومدده وتوفيقه ، نسأل الله (**تبارك وتعالى**) له الأجر والثواب والقبول .

وما أجمل هذا التهذيب وأشمله وأروعه .

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في "**صحيحه**" .

فقد بدأ بذكر أحوال الناس في طلب العلم ، ثم التعريج على ثمرة العلم وهي الهداية ، مبينًا أن لها بداية ونهاية **"فبدايتها ظاهرة التقوى ، ونهايتها باطنة التقوى ، فلا عاقبة إلا بالتقوى ، ولا هداية إلا للمتقين "** .

ثم رسم طريقًا للمؤمن يسير عليها من حين يستيقظ من نومه إلى أن يرجع إليه ، فجال بنا في آداب النوم والاستيقاظ منه ، مرورًا بآداب دخول الخلاء ، وآداب الوضوء والغسل والتيمم ، وآداب الخروج من البيت ، ودخول المسجد ، وصفة صلاة النبي (ﷺ) ، وآداب الاستعداد للصلوات الخمس ، وآداب الإمامة والقدوة ، وآداب يوم الجمعة ، وكذا آداب الصيام .

ثم بعد ذلك انتقل بنا الإمام الغزالي **(رحمه الله)** ومن خلفه ابن خلف **(حفظه الله)** إلى تهذيب النفس والجوارح بالامتثال والالتزام ، وعدم التعدي للحدود وارتكاب المعاصي والآثام ، فعرج على آداب العين ، والأذن .

ثم تجد الإلماع إلى آداب اللسان ، والإشارة إلى خطورته على الإنسان ، وذكر بعض ما يجب حفظ اللسان منه .

ثم طوف بنا في آداب البطن ، والفرج ، واليدين ، والرجلين .

ثم انتقل الإمام الغزالي **(رحمه الله)** ومن خلفه ابن خلف في تهذيبه للكلام على تهذيب تلك المضغة الصغيرة الحجم ، الكبيرة العمل ، التي إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب .

فبين أمراض تلك المضغة الجسام ، وما تجره على صاحبها من أوزار وآثام ، وذكر ثلاثة من أخطرها ، وهي: الحسد ، والرياء ، ثم ثالثة الأثافي: العجب والكبر والفخر على الأنام .

ثم انتقل الإمام **(رحمه الله)** ومن خلفه ابن خلف **(حفظه الله ورعاه)** ليذكر آدابًا سنية ، وشيمًا مرضية ، ينبغي للمسلم أن يتحلى بها ، ولا يتخلى عنها .

فبدأ بذكر آداب العبد مع خالقه ، ثم آداب العالم والمتعلم ، ثم آداب الولد مع الوالدين .

ثم خُتم الكتابُ بذكر آداب العلاقة مع الإخوان والأصدقاء والمعارف .

أسأل الله (**تبارك وتعالى**) أن يغفر لصاحب (**البداية**) ، ولمهذبها في (**بلوغ الغاية**) ، وللمقدمين لهذه الهداية ، وأن يجمعني بهم في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

كما أسأله (**سبحانه وتعالى**) أن يغفر لمن طبعها ، ونشرها ، وقرأها ، وسمعها ، وحملها للإنتفاع بها ، إن ربي لسميع الدعاء ...

وكتب
أبو عبد الرحمن
محمد بن محمد النشيلي
غفر الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما واليه

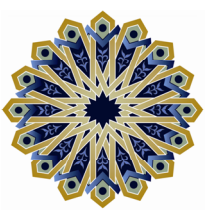

opeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة صاحب التهذيب

نسأل الله حسن الخاتمة

ربِّ يسر وأعن يا كريم

الحمد لله الواحد القهار ، العزيز الغفار ، العظيم الجبار ، أحمده (**سبحانه**) وحلاوة محامده تزداد مع التكرار ، وأشكره تبارك وتعالى وفضله على من شكره مدرار .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، مكور النهار على الليل ومكور الليل على النهار ﴿ **يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ** ﴾ [الرعد:8]

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمداً رسولُ الله ، سيد الأبرار ، وإمام المتقين الأخيار .

اللهم صلِّ عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه كلما سكن ساكن وتحرك متحرك في ليل أو نهار .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ...

فإن كتاب **"بداية الهداية"** للإمام أبي حامد الغَزَّالي (**رحمه الله**)[1] من الكتب التي تشتمل على مهمات لا ينبغي لسالك طريق الهداية أن يغفل عن دراستها والعمل بها ، وقد قدمه الكثيرون ، وانطلقت ألسنتهم بالثناء عليه ، وبعيب من هم في غفلة عنه وبغيره يبتدئون .

---

(1) **الغَزَّالي** : هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد . وهكذا يقال بتشديد الزاي ، وقد رُوِيَ عنه أنه أنكر هذا وقال: إنما أنا الغَزَالي – بتخفيف الزاي – . منسوب إلى قرية من قرى طوس يقال لها : غزالة . ا.هـ أفاده الإمام النووي (**رحمه الله**) في آخر باب من كتابه **"التبيان في آداب حملة القرآن"** .

ولا لوم عليهم في ذلك؛ فإن الطريق الموصلة إلى الله (**تبارك وتعالى**) ليست مما يقطع بالأقدام ، إنما تقطع بالقلوب ، فلا بد من أن يكون القلب سليماً ذا قوة وبصيرة حتى يصل ، وإلا حالت دون ذلك الشبهات والشهوات التي تعرض له .

وقد قال رسول الله ﷺ : **" ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب "** [1].

ولا يمتري أحد في أن الإمام الغزالي (**رحمه الله**) له يد طولى في الكلام على أمراض القلوب وعللها ، وإجادة وصفها وتشخيصها ، ووصف الدواء للخلاص منها واستئصالها ، وجُل الناس بعده عيال عليه في هذا الباب .

ولكن اعلم – وفقني الله وإياك لمرضاته ، وجعلني وإياك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته – : أن كتب الإمام الغزالي (**رحمه الله**) تشتمل على الصحيح والسقيم ، وتجد فيها الغث والسمين ، وترى فيها الدر الثمين ممزوجًا في الرصف بالخرز المهين .

وهذا ليس من كيسي، إنما هذا كلام أهل العلم والتحقيق الذين جاؤوا من بعده (**رحمه الله**) ، قالوه نصيحة للمسلمين ، وقد قال سيد المرسلين ﷺ : **"الدين النصيحة "** [2].

---

(1) أخرجه البخاري (52 ، 2051) ، ومسلم (1599) ، والإمام أحمد في **"المسند"** (4/ 267، 269، 270) ، وأبو داود (3329)، والترمذي (1205)، والنسائي (4453، 5710)، وابن ماجه (3984)، والدارمي (2531)، وابن حبان (721_إحسان) ، والبيهقي في **"السنن الكبرى"** (ج5/ ص264، 334) ، وفي **"شعب الإيمان"** (5740، 5741، 5742) ، وفي **"الزهد الكبير"** (862، 863) ، وأبو نعيم الأصفهاني في **"حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"** [ج4 / ص320 / رقم (5898) ط/ مكتبة الإيمان] من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما . قال الإمام الترمذي رحمه الله: **" حديث حسن صحيح "** ، وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: **" وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر ، وعمار بن ياسر ، وجابر، وابن مسعود ، وابن عباس . وحديث النعمان أصح أحاديث الباب "** ا هـ .

(2) أخرجه مسلم (55) ، والإمام أحمد (4/ 102، 103) ، وأبو داود (4944) ، والنسائي (4197، 4198) ، وابن حبان (4574، 4575_إحسان) ، وابن أبي عاصم في **"السنة"** (1089، 1090، 1091) ، وابن حزم في **"المحلى"** (8/ 591) ط/ دار التراث ، من حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري . وراجع **"جامع العلوم والحكم"** للحافظ ابن رجب الحنبلي _**رحمه الله**_ الحديث السابع (7) .

- قال العلامة أبو الفرج ابن الجوزي (**رحمه الله**) {المتوفى **سنة 597 هـ**} في مقدمة كتابه الموسوم بـ"**منهاج القاصدين ومفيد الصادقين**" وهو اختصار لكتاب "**الإحياء**" للغزالي:

((اعلم أن في كتاب " **الإحياء** " { **وغيره** }[1] آفات لا يعلمها إلا العلماء ، وأقلها الأحاديث الباطلة الموضوعة ، والموقوفة وقد جعلها مرفوعة[2] ، وإنما

---

(1) أضفت هذه الكلمة ؛ لأن جُل كتب الإمام الغزالي _ رحمه الله _ تشتمل على بعض هذه الآفات التي يشير إليها ابن الجوزي رحمه الله ، ومن جملة ذلك كتاب "**بداية الهداية**" ، وهو بمثابة صورة مصغرة لكتاب "**الإحياء**" ، فما يقال في "**الإحياء**" يقال فيه . والله الموفق لا رب سواه .

(2) ومن أوضح الأدلة على ذلك كتاب الحافظ زين الدين العراقي _ رحمه الله _ { **المتوفى سنة 806 هـ** } المسمى : " **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار** " ، فكم من الأحاديث التي جزم الغزالي رحمه الله بنسبتها إلى النبي _ ﷺ _ ، ويقول فيها الحافظ العراقي _ رحمه الله _ : ((**لا أصل له**)) ، و ((**لم أجد له أصلاً**)) ... فضلاً عن الأحاديث الموضوعة ، فضلاً عن المنكرة والشاذة والضعيفة المعلولة ، حتى قال بعض أهل العلم : ((**ما رأيت كتاباً أكذب على النبي _ ﷺ _ من " الإحياء "))** ! ، ولكننا نقول كما قال ابن الجوزي رحمه الله : إن الإمام الغزالي لم يتعمد الكذب على رسول الله _ ﷺ _ حاشاه من ذلك _ ولكنه نقل الأحاديث ((**كما اقتراها ، لا أنه افتراها**)) ، والإمام رحمه الله لم يكن من ذوي الاختصاص في علم الحديث حتى يستطيع تمييز صحيح الأخبار من سقيمها ، وطيبها من خبيثها ، وقد اعترف رحمه الله بذلك حيث قال : ((**أنا مزجى البضاعة في الحديث**)) .
بيد أن الإمام – رحمه الله – مال في آخر عمره إلى سماع الحديث وحفظه ، ومات وصحيح البخاري على صدره .
وراجع ترجمة الإمام _ رحمه الله _ في " **البداية والنهاية** " للعماد ابن كثير أبي الفداء _ رحمه الله _ { **المتوفى سنة 774 هـ** } (ج12 / 149) ط مكتبة الصفا ، حوادث سنة (505 هـ) .
وراجع أيضاً "**سير أعلام النبلاء**" للحافظ العالم العلامة شمس الدين الذهبي _رحمه الله_ {**المتوفى سنة 748هـ**} .
ومن الأهمية بمكان أن نذكر بأنه ليس معنى تبيين ما في كتب الإمام من الآفات أن نهضمه حقه ، وننسى جهودَه وحسناتِه! ... كلا ثم كلا ؛ فالغزالي هو الغزالي ، وكفى الغزاليَّ فخرًا أنه الغزالي ، ذلك الإمام العلامة الجهبذ النحرير الحِبل الزاهد العابد العارف الورع ، الذي تشهد الدنيا بورعه وزهده وعلمه ، ومن أنكر ذلك فكأنما أنكر ضوء الشمس في رابعة النهار :

وكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وإنما ذكرنا ما ذكرناه من باب النصيحة كما أسلفنا ، وإلا فقد قال نبينا ﷺ : ((**إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث**)) ، ولله در من قال :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

وأجمل بقول القائل :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدًا فأفعاله اللاتي سررن كثير

نقلها كما اقتراها ، لا أنه افتراها ، ولا ينبغي التعبد بحديث موضوع ، والاغـترار بلفظ مصنوع .

وكيف أرتضي لك أن تصلي صلوات الأيام {**وأن تذكر الله تعالى بأذكار**} ليس فيها كلمة قالها رسول الله ﷺ .

وكيف أوثر أن يطرق سمعك من كلام المتصوفة الذي جمعه وندب إلى العمل به ما لا حاصل له من الكلام في الفناء والبقاء ، والأمر بشدة الجوع ، والخروج إلى السياحة في غير حاجة ، والدخول في الفلاة بغير زاد، إلى غير ذلك مما قد كـشفت عن عواره في كتابي المسمى بـ"**تلبيس إبليس**" [1] انتهى .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية _ رحمه الله _ { المتوفى سنة 728 } في " مجموع الفتاوى " :

((وأما ما في "**الإحياء**" من الكلام في المهلكات ، مثـل الكـلام عـلى الكـبر ، والعجب ، والرياء ، والحسد ونحـو ذلـك ، فغالبـه منقـول مـن كـلام الحـارث المحاسبي في "**الرعاية**" ، ومنه ما هو مقبول ، ومنه ما هو مـردود ، ومنـه مـا هـو متنازع فيه . و" **الإحياء**" فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة، فإنـه فيـه مـواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد ، فـإذا ذكـر معـارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدوًا للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين . وقـد أنكـر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه . وقالوا : ((**مرضه "الـشفاء"**)) يعنـي : "**شفاء**" ابن سينا في الفلسفة . وفيه أحاديث وآثار ضعيفة ، بل موضوعة كثيرة ، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم ، وفيـه مـع ذلـك مـن كـلام المـشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة ، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة ، ما هو أكثر مما يرد منه؛ فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه)) ا.هـ .

---

(1) وراجع لذلك أيضاً كتاب العلامة ابن قيم الجوزية _ رحمه الله _ { المتوفى سنة 751 هـ } المسمى بـ" **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان** " ، فإنه من أحسن ما صُنف في هذا الباب .

ولهذا صح عزمي أن أقدم كتاب **"بداية الهداية"** للإمام الغزالي (**رحمه الله**) للمكتبة الإسلامية بعد تهذيبه مما علق به من أحاديث لا تصح عن النبي ﷺ وما أكثرها! ، ومن أقوال وأفعال استحسنها الإمام وارتآها وقال أهل العلم : لا دليل عليها . وأضفت إلى ذلك مما صح ما يغني عنها ، بل ويربو عليها.

وقد بذلت جهدًا أحتسبه في تخريج الأحاديث التي أوردتها ، وهي _ إن شاء الله – ثابتة عن رسول الله ﷺ برمتها ، وفيها غنية عن غيرها ، لمن أراد أن يزكي نفسه ويرقق قلبه بها ، لا بالأحاديث المكذوبة الموضوعة ، ولا الآثار والقصص المفتعلة المختلقة المصنوعة ؛ فإن الله لم يجعل شفاء أمة محمد فيما حرم عليها .

ولم ألتزم ذكر ألفاظ الإمام بعينها ، بل قد أذكرها بالمعنى ، وزدت في متن الكتاب أشعارًا وآثارًا أشبه بمستطاب الجَنَى ، فضلاً عن حواشي أرى أن ليس عنها غنى (*) .

وبعد هذا أذكرك أخي بقول أبي القاسم الحريري (**رحمه الله**) في **"ملحة الإعراب"** :

إن تجد عيباً فسد الخللا فجل من لا عيب فيه وعلا

" وإني من بعد ذلك موقن بالقصور بين أهل العصور ، معترف بالعجز عن المَضَاء في مثل هذا القضاء ، راغب من أهل اليد البيضاء ، والمعارف المتسعة الفضاء ، النظرَ بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء ، والتغمد لما يعثرون عليه بالإصلاح والإغضاء ؛ فالبضاعة بين أهل العلم مزجاة ، والاعتراف من اللوم منجاة ، والحسنى من الإخوة مرتجاة " (**) .

وأنا سائل أخًا انتفع بشيء من هذا الكتاب أن لا يغفل عن دعوة بظهر الغيب للإمام الغزاليّ ، وكذا لي ولوالديّ ، ولأصحاب الحقوق عليّ ، وليبشر ؛ فقد قال

(*) ووسمت صنيعي هذا بـ **"بلوغ الغاية من تهذيب بداية الهداية"** .

(**) اقتباس من كلام العلامة ابن خلدون (**رحمه الله**) في **"مقدمته"** المشهورة ، ص11 بتحقيقي ط/ دار العقيدة للتراث بالاسكندرية .

النبيّ (ﷺ) : " **دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ، ولك بمثل** "[1].

وإني لأبتهل إلى الله – تبارك وتعالى – أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يدخر لي ثوابه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:88،89] ، وأن يوفقني ووالدَيَّ ومشايخي وسائر أقاربي وأحبابي ومن أحسن إلينا بحسن النيات ، وأن ييسر لنا الطاعات ، وأن يهدينا لها دائماً في ازدياد حتى الممات ، وأن يجود علينا برضاه ومحبته ودوام طاعته والجمع بيننا في دار كرامته وغير ذلك من أنواع المسرات، وأن ينفعنا أجمعين ومن يقرأ في هذا الكتاب به ، وأن يجزل لنا المثوبات ، وأن لا ينزع منا ما وهبه لنا ومَنَّ به علينا من الخيرات، وأن لا يجعل شيئاً من ذلك فتنة لنا وأن يعيذنا من كل شيء من المخالفات ؛ إنه مجيب الدعوات جزيل العطيات[2]. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وكتب

أبو عبد الرحمن البحيري

وائل بن حافظ بن خلف

غفر الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما وإليه

مساء الأحد الرابع عشر من شهر رمضان المبارك لسنة 1429هـ

الموافق: الرابع عشر من شهر سبتمبر لسنة 2008 م

كفر الدوار - البحيرة- جمهورية مصر العربية

(1) أخرجه الإمام أحمد في "**المسند**" (5/ 195-196) ، (6/ 452) ، والبخاري في "**الأدب المفرد**" (625) ، ومسلم في "**صحيحه**" (2733) ، وابن ماجه (2895) .

(2) اقتباس من مقدمة الإمام النووي رحمه الله لشرح "**صحيح مسلم**" ، المسمى : "**المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**" .

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

اعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم المظهر من نفسه صدق الرغبة وفرط التعطش إليه : أنك إن كنت تقصد بالعلم المنافسة والمباهاة ، والتقدم على الأقران ، واستمالة وجوه الناس إليك ، وجمع حطام الدنيا ؛ فأنت ساع في هدم دينك وإهلاك نفسك وبيع دنياك بآخرتك . فصفقتك خاسرة ، وتجارتك بائرة ، ومعلمك معين لك على عصيانك ، وشريك لك في خسرانك ، وهو كبائع سيف لقاطع طريق ؛ فالدال على الشر كفاعله .

وإن كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم: الهداية دون مجرد الرواية ؛ فأبشر فإن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مشيت ، وحيتان البحر تستغفر لك إذا سعيت.

ولكن ينبغي لك أن تعلم قبل كل شيء أن الهداية التي هي ثمرة العلم لها بداية، ونهاية ، وظاهر ، وباطن .

ولا وصول إلى نهايتها إلا بعد إحكام بدايتها ، ولا عثور على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها.

وها أنا مشير عليك ببداية الهداية لتجرب بها نفسك ، وتمتحن بها قلبك ، فإن صادفت قلبك إليها مائلاً ، ونفسك بها مطاوعة ولها قابلة ؛ فدونك التطلع إلى النهايات ، والتغلغل في بحار العلوم.

وإن صادفت قلبك عند مواجهتك إياها بها مسوفاً ، وبالعمل بمقتضاها مماطلاً ؛ فاعلم أن نفسك المائلة إلى طلب العلم هي النفس الأمارة بالسوء ، وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ليدليك بحبل غروره ، فيستدرجك بمكيدته إلى غمرة الهلاك ، وقصده أن يروج عليك الشر في معرض الخير حتى يلحقك ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:103،104] .

وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء وما ورد فيه من الأخبار والآثار ، ويلهيك عن مثل قوله ﷺ : **"يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه "** (1).

وكان من دعاء النبي ﷺ : **" اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها "** (2).

فإياك يا مسكين أن تذعن لتزويره فيدليك بحبل غروره . فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة ، وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة .

واعلم أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال :

1 – رجل طلب العلم ليتخذه زاده إلى المعاد ، ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة ؛ فهذا من الفائزين.

2 – ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة ، وينال به العز والجاه والمال وهو عالم بذلك مستشعر في قلبه ركاكة حاله وخسة مقصده ؛ فهذا من المخاطرين، فإن عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه من سوء الخاتمة وبقي أمره في خطر المشيئة ، وإن وفق للتوبة قبل حلول الأجل وأضاف إلى العلم العمل ، وتدارك ما فرط منه من الخلل ؛ التحق بالفائزين ، فإن **" التائب من الذنب كمن لا ذنب له "** (3) .

---

(1) أخرجه الإمام البخاري (3267، 7098) ، والإمام مسلم (2989) من حديث أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهم .

(2) رواه مسلم (2722) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه .

(3) أخرجه ابن ماجه (4250) والطبراني في "المعجم الكبير" (ج10/ رقم10281) وغيرهما بسند منقطع ، ولكن للحديث شواهد ؛ ولذا حسنه الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في **"الفتح"** تحت الحديث رقم (7507) ، ورمز الحافظ السيوطي لحسنه في "الجامع الصغير" (3385) ، وراجع **"السلسلة الضعيفة"** للشيخ ناصر الدين الألباني (615) ، و"فيض القدير شرح الجامع الصغير" للعلامة المناوي / مكتبة مصر .

obeikandl.com

3 – ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان ، فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الأتباع ، يدخل بعلمه كل مدخل رجاء أن يقضي من الدنيا وطره ، وهو مع ذلك يضمر في نفسه أنه عند الله بمكانة لاتسامه بسمة العلماء وترسمه برسومهم في الزي والمنطق مع تكالبه على الدنيا ظاهراً وباطناً ؛ فهذا من الهالكين ومن الحمقى المغرورين ؛ إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين ، وهو غافل عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف:2، 3].

وهو ممن قال فيهم رسول الله ﷺ : **" غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال، الأئمةَ المضلين "** (1).

وهذا لأن الدجال غايته الإضلال ، ومثل هذا العالم ـ وإن صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله ـ فهو دافع لهم إليها بأعماله وأحواله ، ولسان الحال أفصح من لسان المقال ، وطباع الناس إلى المساعدة في الأعمال أميل منها إلى المتابعة في الأقوال ، فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله ؛ إذ لا يستجرئ الجاهل على الرغبة في الدنيا إلا باستجراء العلماء ، فقد صار علمه سبباً لجرأة عباد الله على معاصيه ، ونفسه الجاهلة – مع ذلك – تمنيه وترجيه ، وتدعوه إلى أن يمن على الله بعلمه ، وتخيل إليه نفسه أنه خير من كثير من عباد الله .

فكن أيها الطالب من الفريق الأول واحذر أن تكون من الفريق الثاني ، فكم من مسوف عاجله الأجل قبل التوبة فخسر ، وإياك ثم إياك أن تكون من الفريق الثالث فتهلك هلاكاً لا يُرجى معه فلاحك .

---

(1) أخرجه الإمام أحمد (5/ 145) ، وفي إسناده ابن لهيعة ، وله شواهد ، وجود إسناده الحافظ العراقي كما في **"الفيض"** (4/ 525) ، وفيه: ((**قوله: "الأئمةَ المضلين" كذا وقع في هذه الرواية بالنصب ، وتقديره: أعني الأئمة المضلين . وإن جاء بالرفع فتقديره: الأئمةُ المضلون أخوف من الدجال ، أو: غير الدجالِ الأئمةُ**)) .

فإن قلت: فما بداية الهداية لأجرب بها نفسي ؟

فاعلم أن بدايتها ظاهرة التقوى(**) ، ونهايتها باطنة التقوى ، فلا عاقبة إلا بالتقوى ولا هداية إلا للمتقين.

(**) أصل التقوى: وِقَوى – بكسر أوله وقد يفتح – من الوقاية ، أبدلت الواو تاء كـ"تراث" ، و"تخمة" . وهي: ما يستر الرأس ، فهي اتخاذ وقاية تقيك مما تخافه وتحذره ، فتقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين ما يخشاه وقاية تقيه منه ، وهي امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور به ، وترك كل منهي عنه ، بحسب الطاقة ، مَن فعل ذلك فهو من المتقين . ا.هـ من **"دليل الفالحين"** .

وقال الإمام أحمد : **" التقوى : ترك ما تهوى لما تخشى "** .

ولله در من قال:**" التقوى : أن يجدك الله حيث أمرك ، وأن يفتقدك حيث نهاك "**.

وروى ابن أبي حاتم في **"تفسيره"** بسند صححه العماد ابن كثير في **"التفسير"** (2/ 51) ، والطبراني في **"المعجم الكبير"** بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح والآخر ضعيف – كما قال الهيثمي في **"المجمع"** (6/ 326) – عن ابن مسعود **(رضي الله عنه)** في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:102] قال: **" أن يُطاع فلا يُعصى ، وأن يُذكر فلا يُنسى ، وأن يُشكر فلا يُكفر "** .

وقد روى الإمام ابن أبي شيبة في كتاب **"الإيمان"** (ص39رقم99) ، والأمام المبارك عبد الله بن المبارك في "الزهد" (1343) ، والإمام هناد بن السري في **"الزهد"** (520) ، والإمام البيهقي في **"الزهد الكبير"** (965) عن عاصم الأحول قال: لما وقعت فتنة ابن الأشعث قال طلق ابن حبيب: **" اتقوا الفتنة بالتقوى"** .

فقال بكر بن عبد الله : أجمل لنا التقوى في يسير .

فقال: **" التقوى : العمل بطاعة الله ، على نور من الله ، رجاء رحمة الله . والتقوى: ترك معاصي الله ، على نور من الله ، مخافة عذاب الله "** ا.هـ .

وقد روى الإمام البيهقي في "الزهد الكبير" قبل هذا الأثر أثرين:

الأول:

بسند فيه نظر عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه قال: قال رجل لأبي هريرة : ما التقوى؟

فقال أبو هريرة : هل أخذت طريقًا ذا شوك؟

قال الرجل: نعم .

قال: فكيف صنعت؟

قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه ، أو جاوزته، أو قصرت عنه .

فقال : ذاك التقوى ا.هـ

وقد أخذ ابن المعتز هذا المعنى من أبي هريرة ، فقال:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى. =

والتقوى: عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب نواهيه ، فهما قسمان .

وهأنا أشير عليك بجمل مختصرة من ظاهر علم التقوى في القسمين جميعاً، وألحق قسما ثالثًا ؛ ليصير هذا الكتاب جامعًا مغنيًا ، والله المستعان .

= **الأثر الثاني:** رواه البيهقي من طريق عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي ، أن عمر ابن عبد العزيز كان يقول: **" ليس تقوى الله بصيام الدهر ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله ، فمن رُزق بعد ذلك خيرًا ؛ فهو خير إلى خير "** .

obeikandl.com